



من اعلام الطب الاسلامي

نسبه ومولده :

● هو أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوي . والزهراوي نسبة الى مدينة الزهراء التي ولد بها وهي على نحو سبعة أميال من مدينة قرطبة بالأندلس وكان مولده في أوائل القرن العاشر الميلادي على أصح المراجع . وقد عاصر الزهراوي الخليفة عبد الرحمن الثالث الذي حكم بين ٩١٢ ، ٩٦١ م وكان طبيبه الخاص . وقد تعلم في قرطبة التي تقدمت فيها دراسة الطب تقدماً عظيماً بالنسبة لعصرها إذ كان بها وحدها خمسون مستشفى بالإضافة إلى جامعة قرطبة التي أنشئت في القرن الثامن الميلادي وكان بها مكتبة تضم أكثر من مائتين وخمسين ألف كتاب ●

خَلْفُ بْنُ عَبَّاسٍ الزَّهْرَاوِيُّ

بمقام الدكتور ، غريب جمعة

اشتغاله بالطب :

اشتغل الزهراوي بالطب وضرب بسهمه وافر في تخصصاته المختلفة ، ولكن تفوقه على معاصريه كان في تخصص الجراحة ،

فقد كان أول من عرف جراحة الشرايين وربطها لأول مرة . ويزعم الجراح الفرنسي المشهور « امبرواز باري » (Ambroise Paré) أنه مبتدع هذا النوع من الجراحة ، سنة ١٥٥٢ في حين أن أبا القاسم الطبيب المسلم عرف ذلك قبل ذلك الجراح بحوالي ٦٠٠ عام . وكان أبو القاسم يقوم

وليكن من ابريسم او من اوتار العود لنلا يسرع اليها العفن قبل التثام الجرح فيحدث النزيف ، ثم اقطع ما بين الرباطين وإن شئت فاكوه ثم احش الموضوع بالقطن وضع الرفايد المحكمة . .

ونبع أيضاً في جراحة المسالك البولية ، حيث يصف استخراج الحصاة من المثانة بطريقته التي ابتدعها فيقول :

« يجلس المريض ويضغط مساعد الجراح على مثانته وهو بين يدي الجراح ليحصر الحصوة عند عنق المثانة ، ويضع الجراح اصبعه في

يقطع الشريان لعلاج الصداع المستعصي وتامل شرحه لتلك العملية لترى الى اي حد وصل نبوغه : يقول « اسلخ الجلد برفق حتى تصل إلى الشريان وتلتقي به وتجذبه الى فوق حتى تخلصه من اللصقات التي تحته من كل جانب فان كان الشريان رقيقاً فتكويه بطرف الصنارة ثم تقطع منه جزءاً بقدر ما يتباعد طرفاه ، ولا يحدث نزيفاً ثم استفرغ من الدم ثلاث اوراق الى ست لوراق ، وإن كان الشريان عظيماً فينبغي أن تربطه في مكانين بخيط متين قوي



من اعلام الطب الاسلامي

جمعت ما يتعلق بالطب من معلومات في وقته ، وقد جعل الجزء الأول منه للطب الباطني بصفة عامة ، والجزء الثاني للادوية وتركيبها وفوائدها ، والجزء الثالث للجراحة ، والجزء الرابع لأمراض النساء .

وقد اخرج القسم الخاص بالجراحة منفصلا وقسمه الى ثلاثة ابواب :

الباب الاول : خاص بالكي ويقع في ستة وخمسين فصلا ويمتاز بوفرة الشروح والرسوم .

الباب الثاني : يحتوي على سبعة وتسعين فصلا في الشق والبسط والغصد .

ووصف عمليات استخراج حصاة المثانة بالشق والتفتيت والبترفي حالات الغنغرينا ومعالجة الحالات الصديدية .

الباب الثالث : ويقع في خمسة وثلاثين فصلا . وصف فيه الكسور وخلع المفاصل والشلل الناشئ عن كسر الفقرات وكسر الحوض ثم كتب عن تعليم القوالب فيه ايضا وعن اخراج جنين الميت .

وقد تمت ترجمة كتاب التصريف الى اللغة اللاتينية خمس مرات ، وظلت أوروبا عالة عليه لمدة خمسة قرون لأنها وجدت فيه من سلاسة الأسلوب ودقة الوصف وحسن الترتيب ورسوم الآلات الجراحية ما لم تجده في غيره ، وهكذا ظل الزهراوي أستاذ أوروبا طيلة تلك القرون الخمسة .

أخلاقه :

كان الزهراوي أميناً حازماً في مهنته ، وقد دفعته أمانته وحذقه الى التبحر في العلم ، فدرس التشريح دراسة وافية واعتبره اللبنة الأولى في فهم الجراحة وقال :

« إن جهل التشريح يجز الى نتائج وخيمة » ، ويزيد هذا المعنى وضوحاً بقوله :

واستاصل البوليب (العينية) من الأغشية المخاطية ، كما استاصل اللوزتين وعرف جفت الولادة ورسم شكله .

وهو أول من وصف الاستعداد الخاص في بعض الاجسام للزئيف (الهيموفيليا) وقال إنه شاهد حوادث زئيف من هذا النوع في عائلة واحدة .

ومن العجيب أن يوصى الزهراوي برفع منطقة الحوض والأرجل أثناء للعمليات الجراحية على النصف السفلى من الجسم ولقد اقتبس أطباء الغرب هذا الوضع ونسبوه الى الجراح الألماني « فريدريك ترندلنبرج » ويستخدم هذا الوضع في الجراحة حتى يومنا هذا منسوباً الى ترندلنبرج مع الأسف حيث يطلق عليه :

(وضع ترندلنبرج) ونسي الزهراوي صاحب الفضل فيه .

مؤلفاته :

لم يقف دور الزهراوي عند الممارسة العملية للطب ، بل تعداه الى التأليف أيضاً واي تأليف ؟!! لقد ألف كتابه المسمى « التصريف لمن عجز عن التأليف » والذي يعتبر موسوعة طبية

مقده المريض ويضغط الحصوة ايضاً ، ثم يشق فيما بين المقعد والخصيتين لا في الوسط ولكن إلى جنب الآلية اليسرى ، ويكون الشق على نفس الحصاة ويضغط على الحصوة بالاصبع الى الخارج ويكون الشق موارباً او عريضاً من الخارج وضيقاً من جهة المثانة وتخرج الحصوة بالضغط .

ثم يقسم الحصاة على حسب شعبيها فيقول : منها ذوات الزوايا والحروف والمساء ثم يقول وإذا لم تطاوعك الحصاة فاقبض عليها « بجفت » محكم يكون طرفه كالمبرد ليضغط الحصاة ، وإذا كانت الحصاة كبيرة جداً فتحايل على كسرها بالكلايب حتى تخرجها قطعاً . وعلى ذلك يكون الزهراوي أول من فكر في تفتيت الحصوة إذا تعذر اخراجها مما يدل على تمكنه من مهنته .

واستعمل الزهراوي الكي في كثير من الحالات مثل إيقاف النزيف واستئصال الأورام وقضله على المرط ، كما استخدمه في جراحة الفتق والعظام وتثبيت المفصل المخلوع ورسم في كتابه اشكالاً كثيرة لآلات الكي ، وبين استعمال كل منها . واستمع إلى ملاحظته الدقيقة في تفضيل الكي بالحديد على الكي بالذهب حيث يقول :

« إن الذهب يمنع معرفة درجة الحرارة التي تريدها ، هل هي الحمراء او البيضاء معالاً يتيسر معرفته في الذهب في غير الظلام ، والمعروف طبياً أن الكي يكون على درجة الحرارة الحمراء ، فإنها تكوي المكان كيا موضعياً فتزيل الأثر الذي تريد إزالته أما البيضاء فإن المعادن تكون فيها كالمشروط تقطع ولا تكوي . »

ومارس جراحة الاسنان فاستخدم الكلايب في خلع الاسنان وكان ينشر الاسنان الزائدة ويثبت المتحركة بخيوط من ذهب .

ومارس جراحة الاذن حيث قام باجراء عملية شق لاستخراج ما يسقط في الاذن واستعمل المحقن في غسل الاذن ورسمه رسماً دقيقاً وبين أنه يصنع من النحاس لو الفضة .

واجرى عملية الظفرة بالعين واستخرج الشعرة منها . كما قام باستئصال اكياس الغدة الدرقية ،

● بقيت أوربا عالة على كتاب الزهراوي « التصريف » لمدة خمسة قرون وترجم إلى اللاتينية خمس مرات .

● درس الزهراوي التشريح دراسة وافية واعتبره اللبنة الأولى في فهم الجراحة وان جهله يجر الطبيب إلى نتائج وخيمة .

● « التصريف لمن عجز عن التأليف » يعتبر موسوعة طبية جمعت كل ما يتعلق بالطب من معلومات في وقته .

الرازي - ابن سينا - الزهراوي كانوا بمثابة المصابيح التي اضاعت منها أوربا فتأديلتها في العلوم الطبية .

ولقد لقب الزهراوي بابي الجراحة في عصره نظراً لجهده البارز في هذا المجال كما تقدم ويقول الدوميلي في كتابه « العلم عند العرب » :

« إن الزهراوي أشهر الأطباء في الأندلس في ذلك العصر بل من أعظم أطباء المسلمين أيضاً ، وربما كان الزهراوي أعظم الجراحين العرب على وجه الخصوص » .

ويعد ..

فهذا ايها القارئ غيض من فيض ووشل من بحر ، عن واحد من اعلام

الأطباء الذين صنعهم الاسلام فرجعوا نكر المسلمين على مر العصور فهل يعيد التاريخ نفسه ؟

يرحم الله ابا القاسم الزهراوي بقدر ما بذل من نفسه وجهده ، وقدم للأطباء وللمرضى من علم ينتفع به ويكون في ميزان حسناته يوم يقوم الناس لرب العالمين

نلك كله في نصيحته الذهبية للأطباء بقوله :

« ينبغي لكم ان تعلموا ان العمل باليد ينقسم الى قسمين : عمل تصحبه السلامة وعمل يكون معه العطب في اكثر الحالات . وقد نبهت في كل مكان يأتي من هذا الكتاب على العمل الذي فيه الغرور والخوف ، فينبغي ان ترفضوه وتحذروه لئلا يجد الجاهل السبيل الى القول والطعن ، فخذوا لانفسكم بالحزم والحيطة ولرضاكم بالرفق والتثبت ، واستعملوا الطريق الافضل المؤدى الى السلامة والعافية المحمودة ، وتنبهوا الامراض الخطرة العسرة البرء ونزهوا انفسكم عما تخافون ان يدخل الشبهة في دينكم ودينكم فهو ابقى لجاهكم وارفع في الدنيا والآخرة لاقداركم » .

ثناء العلماء عليه

وشهادتهم له :

يقول جورج سارتون في كتابه « المدخل » الى تاريخ العلوم :

« هو ابو القاسم خلف الزهراوي اول من نبغ في الجراحة بين العرب بل هو فخر الجراحة العربية ثالث الثلاثة من نوابغ الأطباء العرب وهم :

« والسبب في عدم وجود صانع محسن في زماننا ان صناعة الطب طويلة وينبغي لصاحبها ان يرتاض قبل ذلك في علم التشريح حتى يقف على منافع الاعضاء وهيئتها ومزاجها واتصالها ،

ومعرفة العظام والاعصاب العضلات وعددها ومخارجها والعروق والقوابض والسواكن ومواضع مخارجها ولذلك قال « ابو قراط » : الاطباء بالاسم كثيرة وبالفعل قليلة ولا سيما صناعة اليد ، وقد نكرنا نحن طرفاً من ذلك في المدخل من هذا الكتاب (يقصد كتاب التصريف) لان

من لم يكن عالماً بما ذكرنا من التشريح لم يخل ان يقع في خطأ يقتل الناس به ، كما شاهدت كثيراً ممن يتصدر في هذا العلم وادعاءه بخير علم ولا دراية ، ولذلك اتي رايت طبيباً جاهلاً قد شق على ورم خنزيري في عنق امرأة فاصاب بعض شريانات العنق ، فنزف دم المرأة حتى سقطت ميتة بين يديه » .

وكان صبوراً على متاعب مهنة الطب ولا بد للطبيب من الصبر ، وقد بلغ به صبره تلك المنزلة الرفيعة التي جعلته علماً يشار إليه بالبنان بينما قصر غيره .

وكان ورعاً يئى بنفسه عن مواطن الشبهة في الدين والدنيا .

وكان متواضعاً بعيداً عن الغرور رقيقاً بمرضاه ولا بد من الرفق للطبيب فان الرفق ما نزع من شيء إلا شانه وما كان في شيء إلا زانه ويوضح الزهراوي